

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ
بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَيْثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْثِمَ
سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ

العلم والحكم لله جل جلاله وحده

(006) سورة الأنعام

اللقاء الخامس عشر من تفسير سورة الأنعام | شرح الآيات 111 - 117

2023-09-16

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً
يا رب العالمين، وبعد:
فهذا هو اللقاء الخامس عشر من لقاءات سورة الأنعام، ومع الآية الحادية عشرة بعد المئة، وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ لَمَلَكَةً وَكَلَّمَهُمْ لَمَوْتَى وَخَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَنْشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ (111)

(وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ لَمَلَكَةً) هم طلبوا إنزال الملائكة كما ورد في بداية السورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ وَالْوَيْلُ لَنَا مَلَكَاً لَفُضِىَ لَأَمْرُنَا لَمْ يَنْتَظِرُونَ (8)

(سورة الأنعام)



معظم إيماننا هو غيب

فأجابهم المولى -جلّ جلاله-: (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ۖ لَأَمُرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ)، فهم طلبوا إنزال الملائكة وكان جواب المولى-جلّ جلاله- أن إنزال الملائكة يقتضي أن يكون بعد ذلك العذاب ويتوقف الإمهال (لَقُضِيَ ۖ لَأَمُرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ)، وقلنا وقتها وأقولها الآن من جديد: نحن عندنا عالم الغيب وعالم الشهادة؛ **الشهادة ما تدركه بحواسك، والغيب ما غاب عن حواسك**، ربنا -جلّ جلاله- الإيمان به غيب، الإيمان بملائكته غيب، الإيمان باليوم الآخر غيب، معظم إيماننا هو غيب، بل إن كلمة الإيمان تشير في داخلها إلى مفهوم الغيب، فما معنى أن يقول إنسان: أنا مؤمن الآن أنك موجود وأنت موجود فعلاً؟! ما هذا الإيمان؟! **الإيمان: هو غيب أن تؤمن بشيء لا تراه بعينك ولكنك توفى بوجوده**، فهم كانوا يريدون أن ينتقلوا من عالم الغيب إلى عالم الشهادة حتى يؤمنوا؛ وهذا ديدن الأقوام السابقة، من ذلك قول اليهود:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ ۖ لِلَّهِ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاكَ ۖ لِمَصِّعَقَةٍ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

(سورة البقرة)

وقول النصارى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ عِيسَى ۖ إِنَّ مَرْتِمَ ۖ لِلَّهِمْ رَبَّتَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ ۖ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ لِرَازِقِينَ (114)

(سورة المائدة)

فطلبوا إنزال المائدة، وقالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ ۖ لِحَوَارِيِّوْنَ يُعِيسَى ۖ إِنَّ مَرْتِمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ ۖ السَّمَاءِ ۖ قَالَ ۖ تَقُولُ ۖ لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)

(سورة المائدة)

فديدن الأقوام السابقة أنهم كانوا دائماً يحاولون أن يصلوا إلى الشهادة، وهذا ما فعله كثير من المشركين مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى إنهم طلبوا أن يروا العذاب بعينهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالُوا لِلَّهِمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَارَءً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ تُنَزِّلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)

(سورة الأنفال)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا فِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْجِسَابِ (16)

(سورة ص)

طبيعة الإنسان أنه يريد أن يرى بعينه والإيمان غيب، فالمؤمن ينتقل من الشهادة إلى الغيب فيؤمن بأشياء لا يراها ولكنه يوقن بوجودها، الآن ربنا -عز وجل- يقول: ولو أننا -افتراضاً لكن هذا لن يحصل- نزلنا إليهم الملائكة كما طلبوا وكلمهم الموتى، وهم طلبوا ذلك في مكان آخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاتُوا يَا بَنِي آدَمَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (36)

(سورة الدخان)



الإيمان من خلال الآيات التي تدل على وجود الله
ارجعوا لنا آباءنا نريد الحديث معهم: آباءنا الموتى، (وَحَسْبُنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) أي جمعنا عليهم كل ما اقترحوه من اقتراحات حتى يؤمنوا وجعلناها قبلاً؛ أي في مقابلتهم بعكس الدبر، الدبر وراءهم، القبل أمامهم، (وَحَسْبُنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) أي كل شيء طلبوه من عالم الشهادة، أن يُنقل من الغيب إلى الشهادة جنباً به أمامهم، صار المشهد واضحاً، الآن المفروض أن يؤمنوا أنهم ربطوا الإيمان بالرؤية، بالمشاهدة، (وَحَسْبُنَا عَلَيْهِمْ) حتى كلمة (حسبنا) تشير إلى الجمع الشديد، أنت إذا كان عندك صندوق وتريد أن تضع به عيشة كتب، اتسع لتسعة كتب ولم يبق مكان فتأتي بالعاشر وتحشره حشراً، (وَحَسْبُنَا عَلَيْهِمْ) لم يبق شيء يدل على الإيمان إلا جنباً به إليهم، النتيجة (قَاتُوا كَانُوا يُؤْمِنُونَ)، إذا قضية طلب الشهادة ليست في الحقيقة من أجل الإيمان إنما هي حالة معاندة واستكبار، فالذي يريد أن يؤمن بما لديه من آيات باهرة تدل على وجود الله ووجدانيته وكماله، سحرة فرعون لما رأوا العصا قد تحولت إلى ثعبان يلقف ما يفاكون آمنوا لأنهم يعرفون السحر، وعرفوا أن هذا الذي يجري ليس سحراً وإنما هو قدرة إلهية خارقة، مؤمن اليوم لو قال لك: أريد عصا تهتز.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)

قلنا له: الحية التي تسعى تشبه العصا التي تسعى، هي الحية الأفعى من غير أن تكون عصا ثم تتحول، ما هي الأفعى؟ هي عبارة عن جماد في الأصل، لما جعل فيها ربنا -جلّ جلاله- الروح أصبحت تسعى، فالكون بحد ذاته من غير أن تُخرق فيه العادات هو معجزة لمن أراد أن يؤمن، لمن أراد أن يؤمن الكون يدلّه على الله من غير خرق للعادات بوضعه الراهن الطبيعي بانتظامه، من غير أن تشرق الشمس من مغربها، تشرق من مشرقها هي معجزة، أما الذي يريد أن يقول لك: أنا حتى أؤمن أريدها أن تشرق من المغرب، معنى هذا هو لا يريد أن يؤمن لأن شروقها من المشرق معجزة، انتظامها كل يوم في وقت شروقها معجزة، فالآيات التي تدل على وجود الله وعلى اليقين بالله كاملة موجودة، لكن هل أنت تملك القرار بالإيمان أو لا؟ هنا السؤال، هؤلاء لم يكونوا يملكون القرار بالإيمان أصلاً، فلذلك خوارق العادات لن تنفعهم، كما أن الكون بكل ما فيه من إعجاز لم ينفعهم، فقال: **(مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** هذه طلاقة القدرة الإلهية، ربنا -عزّ وجلّ- طليق القدرة، ولو شاء أن يؤمن عباده لآمنوا، يجبرهم على ذلك كما أجبر الملائكة، فعندما يريد الله أن يؤمن إنسان ما في الأرض فإنه يؤمن، لكن ربنا -عزّ وجلّ- ما أراد أن نأتيه قسراً، أراد أن نأتيه حباً، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا يَفْصَامُ لَهَا ۚ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

(سورة البقرة)

لو أراد أن يجبرنا على الهدى لأجبرنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ لِلنَّاسِ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99)

(سورة يونس)



في القرآن دائماً الأكثرية مذمومة

فطلاقة القدرة الإلهية لا يجدها حد، فلذلك هنا الاستثناء **(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)**، لا يظن الإنسان أنهم ما كانوا ليؤمنوا أي أنهم معجزون في الأرض، وأن لهم قرارهم المنفصل عن إرادة الله، لا -معاذ الله- **(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ)**، الأكثر ليس دائماً في مقابل الأقل، نحن قلنا سابقاً: في القرآن دائماً الأكثرية مذمومة، فإياك أن تقول: أنا مع عموم الناس، لا تقل: أنا مع عموم الناس، قل: أنا مع الحق ولو كنت وحيداً، بل أكثرهم لا يؤمنون، بل أكثرهم لا يفقهون، بل أكثرهم لا يعقلون، ولكن أكثرهم يجهلون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا لَطْفًا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)

(سورة الأنعام)

كما سيأتي بعد قليل، فلا تكن مع الأكثرية، كن مع الحق، لكن ليس دائماً كل أكثرية يقابلها الأقلية، فقد يكون هؤلاء كثر، وهؤلاء كثر، وهؤلاء أكثر، وهؤلاء أكثر، والدليل على ذلك قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

(سورة الحج)



وعاء الجهل مملوء بالمعلومات المغلوطة

أي كثير من الناس آمنوا وسجدوا لله، وكثير أيضاً حقَّ عليهم العذاب، فليس كل كثير يقابله قليل، فقد يكون أعداد المؤمنين كثير، وأعداد المعرضين كثير؛ كلاهما كثير، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) الجهل غير الأمية، الأمية: **عدم العلم بالشيء**، والإنسان الذي لا يعلم معلومة يمكن أن تعلمه تلك المعلومة، سهل جداً، لكن **الجهل: أن يملأ قلبه بمعلومة مغلوطة**، فلو كانوا بلا معلومات كان من السهل أن توجههم إلى المعلومة الصحيحة، لكن عندما يمتلئ بمعلومات مغلوطة فانت الآن أصبحت مهمتك مضاعفة، المهمة الأولى أن تزيل الجهل الذي في داخله، ثم تملأ داخله بالعلم الصحيح، إذا عندك إناء فارغ من السهل أن تملأه فوراً بشراب الليمون المنعش، لكن إذا كان الإناء مملوءاً بسائل ملوث فالآن مهمتك أن تفرغه وتنظفه ثم تعيد ملأه، فالجهل لا يعني بالضرورة عدم وجود معلومة، بل غالباً ما يُطلق على عدم وجود معلومة أمية، أمي أي وعاءه فارغ، أما الجهل فوعاؤه مملوء بالمعلومات المغلوطة، فهؤلاء كان عندهم معلومات مغلوطة وتصورات مغلوطة فهم يجهلون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ لَقَوْلٍ غُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)

(سورة الأنعام)

(وَكَذَلِكَ) هذه كافة تشبيهه، أي كما هو الحال معك يا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقد كان الحال مع الأنبياء الذين هم قبلك، فهذه سنة الله في النبوات، وهذا فيه تسلية لقلب النبي -صلى الله عليه وسلم-، العوام يقولون: إذا رأى مصيبة غيره تهون عليه مصيبته، الإنسان يتسلى بأن يجد غيره قد حصل معه ما حصل معه هو، لما كعب بن مالك صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد غزوة تبوك ولم يفعل كما فعل المنافقون، ويعتذر باعتذارات غير صحيحة، وقال له: أنا تخلفت عنك وقد كنت ميسوراً والحال جيد، ورغم ذلك أنا تخلفت عن الغزوة هكذا من غير عذر، فلما خرج جعل بعض الناس يغلطونه في قراره، ما الذي فعلته؟ أهلكت نفسك، لو اعتذرت له بمثل ما اعتذر به الناس لكان يستغفر لك، وكان يكفيك استغفار رسول الله لك؛ أصدقاء السوء، قال: هممت بنفسي أن أخطئ نفسي بأن أعود فأعتذر، ثم قلت: "هل لقي أحد مثل ما لقيت؟" فقالوا: نعم رجلان، ورجلان صالحان هلال بن أمية الواقفي، والثاني العمري، فلما وجد أن هناك غيره قد فعل ما فعل، ولقي العقوبة التي لقيها هان عليه الأمر، قال: "لي فيهما أسوة"، فالإنسان دائماً إذا اتخذ قراراً أو أصيب بمصيبة، فإن مما يهونها عليه أن يجد أن غيره قد لاقى مثل ما لاقى، فلذلك القرآن الكريم كثيراً ما يقصّ على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- أخبار الأمم السابقة والأنبياء السابقين، وهنا يقول: (وَكَذَلِكَ) -كما جرى معك جرى مع من قبلك- (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا)، إذا ليس العدو يتصرف بغير إرادة الله -حاشا لله- (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) نحن جعلناهم، فالعدو مقصود إذا لذاته، لما يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا)، لما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)

(سورة الروم)



الألم هو مفتاح الشفاء

إذاً هي من جعل الله، والجعل يأتي بعد الخلق، فلما يقول تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ إِذَا الْعَدَاوَةُ وَوُجُودَ عَدُوِّ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ مَقْصِدٌ مِنْ مَقَاصِدِ الرَّحْمَةِ، مَطْلُوبٌ لَيْسَ أَمْرًا** اعتباطياً، لماذا؟ لأن العدو للأنبياء في ظاهره شر لكن في حقيقته له مهمة من الله -عزَّ وجلَّ-، هذه المهمة هي رفع درجة المؤمنين، وتنقية الصف المؤمن من المنافقين، وإعلاء ذكر النبي وغير ذلك، مثلاً هناك أمراض صامتة ليس فيها ألم، يُكتشف المرض فجأة خلال ثلاثين يوماً يتوفى الإنسان، إذا تألم الإنسان فذهب إلى الطبيب فعلم الطبيب من خلال هذا الألم بوجود إشكال معين، فطلب تحليلاً معيناً، فبين وجود مرض محدد فعالجه، إذاً هل كان الألم الذي جرى وهو في ظاهره شر، هل كان شراً؟ لا، كان خيراً؛ لأن الألم هو مفتاح الشفاء، حتى الأطباء يعرفون ذلك، يقول لك: أصعب الأمراض هي التي لا يتألم الإنسان بها ثم تكتشف فجأة، ويقولون: الضغط هو القاتل الصامت، الألم هو دليل وجود مشكلة فتعالجها، فرينا -عزَّ وجلَّ- أراد أن يكون هناك ابتلاء في الدنيا فجعل لكل نبي عدواً، حتى يتحقق الصراع بين الحق والباطل؛ لأن الحق لا يقوى إلا بالتحدي، ولأن أهل الحق لا يستحقون الجنة إلا بالبذل والتضحية والفداء، فأراد الله أن يكون لكل نبي عدو، هذا العدو باللغة العربية عندنا شيء اسمه بدل (عدوياً) من هو العدو؟ **(شَيْطَانٌ لِلْإِنْسَانِ وَاللَّجِنُّ)** الشياطين هم المردة: المتمردون عن طاعة الله سواء من الإنس أو من الجن، وقدّم الإنس تقديم أهمية لأن شيطان الجن يخس عند ذكر الله وشيطان الإنس قد لا يفعل، ولأن شيطان الإنس يستطيع أن يزين لك الأعمال أكثر من شيطان الجن لأنه أمامك، تراه بعينك فيغريك بالمعاصي- صديق السوء- فقدم شياطين الإنس على الجن **(عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَاللَّجِنِّ)**، فأعداء الأنبياء هم من شياطين الإنس، ومن شياطين الجن، **(يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ)**، من الذي يوجي إلى من؟ شيطان الجن إلى شيطان الإنس، وبينما الأشياء الصحيحة يجب أن تكون في العلن، وإذا صار بالمجتمعات الصحيح بالخفاء والسبب بالعلن فأقراً على هذه المجتمعات السلام، الأصل أن الإنسان إذا تزوج يقيم الفرح، ويدعو الناس، ويزين السيارة، ويملا الدنيا صخباً؛ أنا تزوجت، وإذا كانت علاقة أئمة خارج إطار الزواج يتسلل خفية، ويذهب خفية، لكن إذا أصبح الأمر معكوساً هنا مصيبة كبرى كما فعل آل لوط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ (82)

(سورة الأعراف)

الأصل أن المعصية في الخفاء والطاعة بالجهر، فلذلك **(يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ)**، لأنها وسوسة، هي شر فلذلك سماها وحي، والوحي هو الإعلام بخفاء بالمعنى اللغوي وليس الاصطلاحي.

أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٣١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلِصَغْفَىٰ إِلَيْهِ أَعْدَاءُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

زخرف القول هو تزيين المعصية

(يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) معنى زخرف القول: أي إذا قلت: خمر، منفرة الكلمة (مشروبات روحية)؛ هذا زخرف القول، إذا قلت: منافع، تقيلة (لبن) يستطيع أن يرضي جميع الأطراف، ما شاء الله دبلوماسياً بينما جلس تمشي أموره، إذا قلت: امرأة منفلتة، مزعجة (سيور)؛ هذا حرف القول، **زخرف القول: هو تزيين القول بحيث يعقله الطرف الآخر ف (يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** زخرف القول هو تزيين المعصية، والغرور هو إظهارها على وجه غير وجهها الذي هي عليه، أكبر من حجمها، فالشيطان عندما يريد من الإنسان أن يعصي الله تعالى يزخرف له المعصية، أي يزينها، الزخرف خارج عن الشيء تزيين له، لكن حقيقته تبقى كما هي، كما لو جئت بقمامة رائحتها سيئة وهي قمامة البيت ومضى عليها أيام وخرجت لها رائحة، ووضعها في علبه من الطراز الأول ووضع عليها شريطة حمراء لكن تبقى قمامة، فأنت زخرفتها لكن هي قمامة شئنا أم أبننا، والغرور أن تغتر بها فتظنها شيئاً حسناً وهي شيء قبيح، فالغرور هو أن يظهر الشيء على خلاف ما هو عليه، فقالوا: الدنيا تفر، بأول الحياة تغتر بالدنيا، وتجد أن الدنيا هي كل شيء، وأن الحياة هي كل شيء، وبعد الحين تجدها شيئاً من الأشياء، وفي خريف العمر تعلم أنها ليست بشيء، كل الدنيا هكذا، عندما تبدأ بالتجارة المال هو كل شيء في الدنيا، يا أخي الذي معه مال هو الذي يعيش، ويسعى بكل جهده للمال، بعد حين جاءه أولاد، وصار هم الأولاد وتربية الأولاد، يقول لك: والله المال شيء من الأشياء لكن تقول لي: يجلب السعادة، لا والله، عندما يحضر ملك الموت تقول له: ما رأيك بالمال؟ يقول لك: ولا شيء، صفر، هذه طبيعة الدنيا، بالبداية يجد المرأة هي كل شيء، في منتصف العمر شيء من الأشياء، منعة من المنع، وعند مغادرة الدنيا يجد أنها لا شيء؛ هذا هو الغرور أن تظن الشيء وتعطيه حجماً أكبر من حجمه، **(يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۖ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ** هذه طلاقة القدرة الإلهية **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ)** ما فعلوا تلك العداوة، وما فعلوا تلك الزخرفة للقول، ولا إغترار الناس بهذا الأمر، **(مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)** انتركهم وكذبهم ونفاقهم، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَلِّغْ آخِرَهُ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (13)

(سورة الأنعام)



المؤمن بالآخرة لا يصغي إلى زخرف القول

هذه الآية من أعظم الآيات، هذه الآية بموضوع دواخل النفس وعلم النفس بكلمات معدودة رائعة، انظروا (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ) أي ربنا -عزَّ وجلَّ- جعل للأنبياء أعداء، وهؤلاء الأعداء على قسمين؛ أعداء من الجن وهم الشياطين المعروفون، وأعداء من الإنس وهم شياطين الإنس، وهؤلاء مهمتهم زخرفة القول وغرور الناس بأقوالهم التي هي في الأصل كذب ودجل ونفاق، ما الذي يحصل عندما يطلق هؤلاء الأعداء هذه الأقوال المزخرفة؟ ينقسم الناس إلى قسمين؛ قسم مؤمن بالآخرة لا يلقي لها بالاً أبداً لأنك تقول له: أنت تارك الربا، هل تعرف الربا ماذا يمكن أن تعمل؟ يقول لك: أنا أعرف بالربا، يمكن غداً أحصل بيتاً لكن البيت كم سيدوم؟ البيت إلى متى؟ البيت أربعون خمسون سنة يخدمني لكن ساقابل وجه ربي، فهو مؤمن بالآخرة، فإيمانه بالآخرة يجعله لا يصغي إلى زخرف القول، القسم الثاني لا يؤمن بالآخرة فيصغي إليه قلبه، يجد بغيته في هذا الكلام يزخرف له العلاقات النسائية، يزخرف له الأموال الربوية، يزخرف له المناصب، ولو كانت في غضب الله -عزَّ وجلَّ-، يزخرف له فيصغي إلى تلك الزخرفة فؤاده؛ قلبه، الإصغاء ابن يتم في الأصل؟ في الأذن، الأذن تسمع أو تصغي، تسمع بشكل عابر وقد لا تلقي بالاً لما سمعته، أما تصغي يقول لك: أعطى أذنه، أنت جالس بمكان ووجد اثنان يتحدثون مع بعضهما وأنت الجديدة في هذا البلد؟ سمعت كلمة إقامة أصغيت، كنت تستمع لكن ما كنت تصغي الموضوع لا يعينك، لما قال كلمة إقامة وأنت مضطر للإقامة، ولا تعرف كيف نظام الإقامة في البلد، فلما سمعت كلمة إقامة أصغيت، أول شيء يصغي إليه السمع ثم يدرك القلب الذي هو يتم العقل به فتعقل المعلومات، تصغي لها بسمعك فتعقلها، اختصر القرآن الكريم قال: (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ) الإصغاء بالأذن ثم صار بالقلب (أَفِيدَةٌ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَلِّغْ آخِرَهُ) الذين يؤمنون بالآخرة إذا لا تصغي إليه أفئدتهم، مهما سمع يتكلمون عن المعاصي والآثام والقروض الربوية والعلاقات الأثمة مع النساء، والعلاقات الأثمة مع أصحاب المناصب والرشاوى وغير ذلك، لا يصغي فؤاده لأنه عنده إيمان بالغيب، فهو ينظر إلى شيء لا ينظرون إليه فمتعلق بالآخرة، فهذه الأمور لا تعنيه، الثاني أصغى بسمعه ثم بقلبه فأدرك، بعد الإدراك ما الذي يحصل؟ يحصل وجدان، تجد في نفسك عاطفة تجاه هذا الشيء الذي أصغيت إليه تفرح به أو تحزن له، يسمونه وجداناً، ثم تتحرك مثل هذا صاحبنا الذي سمع عن الإقامة فأصغى، أدرك أنه يوجد طريقة لأخذ الإقامة التي أبحث عنها أنا، فرح في اليوم الثاني صباحاً نزل إلى وزارة الداخلية ليعمل الإقامة؛ إدراك، انفعال، سلوك، أو نزوع إلى الشيء، وجدان، عمل على قول ديكارت، ديكارت بسميه: إدراك، انفعال، سلوك، الآن انظر إلى الآية قال: (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَلِّغْ آخِرَهُ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ) هذا الانفعال، (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ) السلوك الأفعال، هذه هي السلسلة النفسية لأي شيء يصير معك، تصغي إليه ليس تسمعه، تصغي إليه، يدخل إلى قلبك، تدرك، ترضى، تتفعل، تغضب، تحب، تكره، تتحرك، النتيجة النهائية هي الحركة لكن الحركة بحاجة قبلها انفعال، وتحتاج قبلها إلى إدراك، هذا الأمر نفسه يستخدمه أعداؤنا للتطبيع مع المعصية، اليوم التطبيع مع لا أقول: معصية، مع مصيبة الشذوذ هو يمر بهذه المراحل، أول شيء تكرر الكلمة بالإعلام مثلية، مثلية.... حتى نحن لم نعد نقول شذوذ، سمينها بالاسم الذي هم يسمونها فيه، الشذوذ ليست جميلة (شاذ) خلاف المنطق، خلاف الأصل، أي أنتم الأصل وهؤلاء شاذون، لا، مثلية، تطبعنا مع الكلمة، ثم التطبيع مع الصورة علم ألوانه جميلة وقريبة جداً من ما يسمى قوس قزح أو قوس الزمزم، قوس المطر الذي ينزل بعد المطر، ألوان جذابة وخاصة الأطفال بالألعاب، بالكتب، بالمؤلفات يصنعونه، طبعاً البصر والسمع، الآن يتم الإصغاء بعد أن يتم الإصغاء يبدأ هذا الإنسان الضعيف يتطبع مع الموضوع، الجماعة ليسوا سيئين مثلما يتحدثون، آخر شيء هذا انحرافات جنسية موجودة، يجب أن ننظر لهم بعين الرحمة ليس بعين القسوة، أناس مثلنا مثلهم، أطيلوا بالكم، ما قيل، أنت قبلت، لا -اعوذ بالله- لكن قصدي تعامل معهم بطريقة حضارية، ثم يبدأ الرضا (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ) ثم يصير ممارسة عادية تراها وكأنه لا يوجد شيء، يقول لك: والله صاحبي مثلي، ماذا صاحبي؟! كيف رصيت؟! فهي مراحل التطبيع مع المعصية هي هذه التي تُمارس، الآية الكريمة ذكرتها كلها، قال لك: هناك زخرف القول موجود، يوجد أعداء، الأنبياء موجودون، المؤمنون بالآخرة لا يستجيبون، غير المؤمنين بالآخرة يصغون، يلقون السمع، يدركون بقلوبهم، برضون بالفعل ثم يقترفون المعاصي والآثام (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفِيدَةٌ) ثم يقول الله تعالى مخاطباً نبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَعَيِّرَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّبَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِن مِّن لَّمُفْتَرِينَ (114)

قل لهم: (أَفَعَيِّرَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّبَعِي حَكَمًا) أي ليس من المنطقي ولا من العقلي أن اتبعي؛ أي أن أطلب حكماً غير الله تعالى لأنه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ) هو أنزله إلي نبيه، لكن لأن نبيه بلغنا إياه فهو قد أنزل إلينا أيضاً، (مُفَصَّلًا) أي مبيناً مستوفياً لكل ما في الحياة، (وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ) من اليهود والنصارى من أهل الكتاب (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ)، يعلمون ذلك يقيناً لأنهم يجدون ذلك مكتوباً في كتبهم، (فَلَا تَكُونَنَّ مِن مِّن لَّمُفْتَرِينَ)، فإياك أن يكون تكذيبهم إياك وتكذيبهم بالكتاب- رغم علمهم بأنه من ربك بالحق- أن يجعلك ذلك في شك من أمرك، اليوم والله أحياناً الإنسان من شدة ما يتماذى أهل الباطل في باطلهم تمر عليه دقائق يراجع فيها حساباته، يشك في معتقده، يقول لك: ربما أنا غلطان، كلهم يقولون هكذا: ربما أنا لا أعرف، يقول لك: لم يبق غيري أنا متمسك، كلهم يأخذ ربا، ربما نحن المخطئون تبين أنها ليست ربا، يقولها بين مزح و جد، لكن الإنسان أحياناً من شدة ما يتماذى أهل الباطل في باطلهم ويدعمون على باطلهم بنسك في أمره، فالتوجيه الإلهي هنا (فَلَا تَكُونَنَّ مِن مِّن لَّمُفْتَرِينَ) مهما قالوا لك: هذا كذب، هذا افتراء، هذا ليس ديناً، إياك للحظة واحدة أن تشك في أمر دينك (فَلَا تَكُونَنَّ مِن مِّن لَّمُفْتَرِينَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)

كلمة ربنا -جلّ جلاله- هي القرآن الكريم، وكلمة (كلمة) تطلق على المفرد وعلى الجمع، يقال: ألقى فلان كلمة ويكون قد ألقى ألف كلمة في كلمته فيقال كلمة، (وَتَمَّتْ) أي أصبحت تامة غير منقوصة وتامها في أنها صدق وعدل؛ لأن كل ما في القرآن الكريم إما أن يكون خبراً أو أن يكون أمراً ونهياً، فأما ما كان فيه من أخبار فهي صادقة صدقاً، وأما ما كان فيه من أوامر ونواهي فهي عادلة، عدل ليس فيها ظلم، في القرآن الكريم تجد يحدثك الله تعالى عن قوم موسى، تمت كلمة ربنا صدقاً في الحديث عن موسى عليه السلام، وفيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا ۗ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ جُتِبُوا كَثِيرًا مِّنَ لَطْفٍ ۗ إِنَّ بَعْضَ لَطْفٍ ۗ إِنَّكُمْ ۗ وَلَا تَحْسَبُوا ۗ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ۗ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ ۗ وَتَقُوا ۗ لِلَّهِ إِنَّ ۗ تَوَابٌ رَّحِيمٌ (12)

(سورة الحجرات)



كل ما في القرآن إما أنه خبر أو أمر وإنشاء
فهذه عدل وليست ظلمًا، فكل ما في القرآن إما أنه خبر أو أمر وإنشاء، فالأخبار صادقة، والأوامر عادلة، (لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ) لا مغير لكلماته أبداً، (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فهو يسمع -جلّ جلاله- ويعلم كل شيء، سميع لأقوال عباده عليم بها، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجاري من يسعى لتبديل كلماته، أي هو قوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) من يسعى إلى تبديل كلمات الله تعالى التي تمت صدقاً وعدلاً سيجازي، الأب إذا قال لابنه-إذا ابنه كان يتكلم بالهاتف كلاماً ما ينبغي أن يتكلمه - وقال الأب لابنه: بابا أنا أسمعك، ما فائدة الإعلام بأنني أسمعك؟ أي سأجازيك على فعلك، فلما يقول ربنا -جلّ جلاله-: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) هو لا يعلمك بأنه سامع، يقول لك: انتبه لأنني أعلم نياتك وأسمع كلماتك (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا لَطْفًا ۗ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)

نحن نتبع اليقين، الإيمان اليقين، الإيمان مئة بالمئة أما هم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) أي يكذبون، الظن لا مستند له، أما اليقين إيمان مطلق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)

لا يخفى عليه شيء من ذلك فيعلم الضال من المهتدي، وهذا له منعكس في سلوك الإنسان ألا ينصب نفسه موزعاً الناس بين الضلال والهدى (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فأولاً: لا تقم نفسك في الأشياء التي ليست من شأنك وإنما هي من شأن الإله، وثانياً: ما دام الله تعالى يعلم المهتدي ويعلم الضال فكن من أهل الهداية، اسع إلى أن تكون من المهتدين، لأن الله يعلم من ضل عن سبيله، والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي